المجاز في سورة يوسف

METAPHOR IN SURAH YOUSUF

د.محمد إقبال*

د.عبدالوحيد اندر**

It is universally accepted that metaphor (Majaz) in the rhetoric unanimously creates decisive changein text. So we can say that metaphor in literary text performs a vital and effective role to enrich the literary language. There is no doubt that initially words of language were used to convey the meanings, feelings and figures directly about the facts and realities, but change was occurred and words were mould accordingly to the human needs and metaphorical forms progressed rapidly to achieve the goals like wideness, affirmation and likening etc.So the change is in direct relation with the metaphor. If there is no need of above mentioned goals and characteristics, then it is related with the reality. Due to that, linguistic experts understood the importance of metaphor very well, which gives literary text a technical aspect and creates decisive partition between "literary text" and "general script".So, in this article, we wanted to discuss evolutionary change in meaning of linguistic word as well as to understand that "Majaz" is more communicated then that of reality (Haqeeqat)" and at the end of the article, we presented some evidences of Metaphorical forms in Surah Yousuf.

Keywords: Metaphor, Reality, rhetoric, Quran, Surah Yousuf, Linguistic' Metaphor.

الكلمات المفتاحية: المجاز، الحقيقة، البلاغة، القرآن، سورة يوسف، المجاز اللغوي.

ولا شكّ أن الكلمات في اللغة وضعت في البداية للتعبير المباشر عن الحقائق، ولكن سرعان ما شملتها سنة التطوّر تلبيةً لحاجة الإنسان، وأخذت تتحوَّل الكلمات أن تستخدم إلى الصور المجازية لأغراض متعددة من الاتساع والتوكيد والتشبيه وغيرها، فإنَّ عدم هذه الأغراض أو الأوصاف المذكورة تكون الحقيقة البتة.

* الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها الجامعة الوطنية للغات الحديثة، سيكتر اتش ٩ إسلام آباد، باكستان

** مدير، الكلية الابتدائية الحكومية، سكر، السند

فالمجاز يحدث لدى القارئ من خلال وسائله الأسلوبية المختلفة هزَّةً ولذَّةً عارمةً، حيث يحفِّز القارئ كذلك على الكشف والتأويل والتفسير لدقائق النصِّ وأسراره وصوره.

مثلما يتطوّر الإنسان على مرّ العصور، تتطور معه اللغة التي تعبر عن أفكاره ومشاعره وشخصه، فاللغة كما يعرفها ابن جنّي "أصوات يعبِّر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم"(١).

فإذا عبّرت اللغة كما موضوعة له في الأصل فهي حقيقة، وإلاّ هي مجاز. وبهذا تكون الحقيقة والمجاز في الكلام التعبير عمّا يدور في ذهن المتكلم من أفكار ومعان يريد إيصالها إلى المتلقي.

فإذا أراد أنْ يؤثر في المتلقي ويوصل له الفكرة بشكلٍ واضح وبتعبيرٍ قويٍّ مالَ عن الحقيقة إلى المجاز؛ لأنّه أبلغ وأقوى في التصوير من الحقيقة.

إن كان أسلوب الحقيقة يقف بالمعنى عند حدٍّ معلوم، فإن المجاز يضفي على المعنى عمقًا بوساطة المدِّ التخييلي للمجاز، إذ أن هناك فرقًا بين قولنا: "رجل هو سيِّد قومه"، وبين قولنا عنه: "قرم"، فإن العبارة الأولى تقف عند حدود الصياغة الحقيقية، بينما تتجاوز الثانية المدلول المباشر إلى هيمنته وقدرته وكرمه ووقاره، وبذلك تنطلق النفس في رحاب المجاز تتملى كلّ المعاني التي يمكن تصورها، فيقول يحيى بن حمزة العلوي:

"إذا عبّر باللفظ الدال على الحقيقة، حصل كمال العلم به من جميع وجوهه، وإذا عبّر عنه بمجازه، لم تعرف على جهة الكمال، فيحصل مع المجاز تشوّق إلى تحصيل الكمال"(٢).

والمجاز يعني التغيير، هو الذي يحدث لدى المتلقي من خلال وسائله الأسلوبية المختلفة هزَّةً ولذَّةً عارمةً حيث يحفِّز المتلقي كذلك على الكشف والتأويل والتفسير لدقائق العمل الفني وإيحاءاته وصوره(٣).

فالبلاغيون أدركوا أن للمجاز قابلية عجيبة على نقل السامع عن خلقه الطبيعي في بعض الأحوال، حتى منها ليسمح بها البخيل، ويشجّع بها الجبان، ويحكم بها الطائش المتسرّع، ويجد المخاطب بها عند سماعها نشوة كنشوة الخمر، حتى إذا قطع عنه، أفاق وندم على ما كان منه من بذل مالٍ، أو ترك عقوبة، أو إقدام على مهول، وهذا هو فحوى السحر الحلال(٤).

ولذلك كان للمجاز أثر جليل في اتّساع اللغة ونموّها وقدرتها على التعبير على المعقولات المحضة ومعنويات الأمور..... وبفضل المجاز اتَّسعت اللغة العربية للعلوم والفنون على اختلاف أنواعها والحضارة على كثرة مظاهرها(٥).

ولقد أثار المجاز وضروبه المتعددة إعجاب البلاغيين والنقاد العرب أو الأجانب، فلقد ذهب أغلب الباحثين في البلاغة العربية إلى أنَّ المجاز هو:

"سرُّ جوهر البيان لا يظهر إلَّا باستعمال المجازات الرشيقة، والإغراق في لطائفه الرائعة وأسراره الدقيقة"(٦).

و"دليل الفصاحة ورأس البلاغة"(٧).

أي أنَّنا ننظر في الأساليب المجازية إلى الموضوع الحقيقيّ من خلال صورة أخرى: هي الصورة المجازية، كما يحدث عندما ننظر إلى الشجاع من وراء صورة الأسد.

ولذلك فإنه يمكن أن يقال:

"إنَّ الصور والمجازات تفيد في أن تثير فينا فكرة كان لا نحسّ بها، لولاها إلَّا بصعوبة وعسر"(٨).

وذلك بفضل ما في العبارة المجازية "من التجسيم والحياة أكثر مما في العلامات العادية"(٩).

يفهم من مجموع هذه النصوص وشبهها أنَّ هناك شبه اتّفاق على أن الأساليب المجازية أكثر جمالًا وتأثيرًا من الأساليب الحقيقية.

ولا يُعني البلاغيون بالحقيقة وأنواعها بقدر عنايتهم بالمجاز وأنواعه؛ لأنَّ فيه تظهر بلاغة الكلام وبراعته بانتقاء الألفاظ المعبرة عن المعاني المختفية وراء ألفاظها والتي تفصح عن غرض المتكلم على أتمّ وجه.

المجاز:

أساس المجاز الحقيقة؛ لأنّه لا يمكن أن يكون هناك كلام مجازي إلاّ إذا كان له حقيقة ثابته إذ أنَّ : "من المحال أن يكون هناك مجاز من غير حقيقة"(١٠).

فنصوص اللغة العربية وعلى رأسها القرآن الكريم يحتوي على الحقيقة والمجاز معًا حتى ترى فيه كثرة المجاز تلبيةً لأهدافه السامية في تنقية النفوس وتهذيبها والرقي بالفعل الإنساني إلى أعلى المراتب من خلال التفكير والتأمل فيما يقرأ ويسمع.

فإن كانت الحقيقة استعمال اللفظ فيما موضوع له في أصل اللغة فالمجاز هو:

"الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالًا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينةٍ مانعة من إرادة ما تدلُّ عليه بنفسها في ذلك النوع"(١١).

ويعرِّفه العلوي على أنه : "ما أفاد غير ما وضع له في أصل وضعه"(١٢).

وفي كلِّ التعريفات يعني المجاز الخروج باللفظة عمّا موضوعة له في أصل وضعها باللغة. ولوجئت لأنواع المجاز عند الجرجاني فتجده على نوعين هما مجاز في الإثبات ومجاز في المثبت إذ يقول في ذلك: "إذا وقع المجاز في الإثبات فهومتلقي من العقل وإذا عرض في المثبت فهومتلقي من اللغة"(١٣).

فالأول مجاز عقلي والثاني لغوي. أي أنّك في الأول تجد العقل هوالحاكم في أنْ يأتي المجاز مخالفًا للمعقول، ويكون في تركيب إسنادي ضمن جملة، في حين الثاني تكون اللغة هي الحاكم عليه، وذلك أن اللفظة خرجت إن معناها الذي وضع لها في أصل اللغة إلى معنى آخر مخالف له.

فالمجاز إذن هو تجاوز المعني الأول عبورًا إلى الثاني بعلاقة بينهما تعين على معرفة المراد مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، وبهذا يخرج المجاز بالكلام عن المألوف ممّا يُثير في المتلقي الدهشة والتساؤل.

قيمة المجاز الفنية:

تبقى للمجاز قيمته الفنية والبلاغية في اللغة العربية، وبما أنّها وسيلة التعبير عمّا يختلج في فكر الإنسان وذهنه من أفكار ومشاعر، ولكي يعبِّر عنها أبلغ تعبير، ويصوِّرها أجمل تصوير، ويجعلها أكثر تأثيرًا وقوةً، تراه يميلُ عن الحقيقة إلى المجاز فيها، لأنَّ الحقيقة تصور الشيء كما هو، في حين المجاز يبالغ ويفخم في الشيء، حتي يظهر ببهرجته وعنفوانه صورةً واضحةً للعيان إذ به يتم:

"الانتقال بذهن السماع إلي آفاق جديدة وصور رائعة، ومشاهد متناسقة، لا تتأ تيّ بالاستعمال الحقيقي، وهذا يعني القيام بعملية تجديد وتطوير لأسلوب اللغة"(١٤).

والقرآن الكريم تميز عن كل منظومٍ ومنثورٍ بلغته المجازية الراقية، فترى فيه الانسجام بين الحقيقة والمجاز حتى تظهر فيه الصورة حسيّة مرئيّة ومسجّدة ومشخّصة بحسب ما يقتضيه الحال والمقام والغرض. وكثُر فيه الميل إلى المجاز لما فيه من دلالاتٍ وأبعاد ومعانٍ تدلّ على مرونة اللغة وقدرتها على تصرُّفٍ في الكلام.فترى فى المجاز اللفظ يحمل دلالة حقيقة فضلًا عن دلالته المجازية، وهذا في حد ذاته يعطى اللغة قدرةً على الاتِّساع في الكلام فيه يمكن للغة أنْ تنسب القيام بالفعل إلى ما ليس له القدرة على القيام به كما في قوله: ﴿وَأَخرَجَتِ الأَرضُ أَثقَالَهَا﴾(١٥).

فالأرض ليست هي الفاعل فهي لا تخرج ما فيها، وإنّما الفاعل هوالله سبحانه وتعالى، فأسند الفعل للأرض مجازًا. وهكذا يتَّسع نطاق اللغة ليشملَ كلَّ ما حولها، وذلك باستخدام المجاز الذي هو قمَّة البلاغة والفصاحة، إذ به يتحوَّل المعقول إلى محسوسٍ وغير المرئي إلى مرئي، فيتضح به المعنى على أتمّ وجه، ويبقى هو وسيلةً:

"من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة، لإيضاح المعني، إذ به يخرج المعنى متصفًا بصفة حسيَّةٍ، تكاد تعرضه على عيان السامع- لهذا- شغف العرب باستعمال (المجاز) لميها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ، ولِما فيه من الدقة فى التعبير، فيحصل للنفس به سرور وأريحية"(١٦).

ومثلما هو وسيلة للاتساع فى الكلام، فهو وسيلة لتطوير دلالة الألفاظ وتضمينها معانيَ جديدة، وذلك بالاعتماد على ما فيه من علاقاتٍ تشرك المعنى الأول بالثاني، وتدلّ القرائن الحالية واللفظية على تلك المعاني الجديدة: أي أنّ المجاز: "ضرب من التغير في الدلالة أوالمعنى"(١٧).

فهو يقوم على الانتقال من معنًى إلى معنًى آخر، وهذا الانتقال من المعنى الأصليّ للفظ إلى المعنى المجازي يقوم على تغير مجال الاستعمال، فالمعنى الجديد ليس أخصّ من المعنى القديم ولا أعمّ، بل هو مساوٍ له. ولذلك يتخذ هذا الانتقال المجازى سبيلًا له، لما يملكه من المجاز من قوة التصرف فى المعاني عبر مجموعةٍ متعددة من العلاقات والأشكال.

فالاستعمال المجازي للفظ يكسبه معنيً جديدًا يساوي معناه الأصلي، لكنّه يكون أثرٌ تأثيرًا في المتلقي وأبلغ في التعبير من الاستعمال الأصلي له، لما في المجاز من علاقات كثيرة تمنحه قدرةً على توليد معانٍ جديدة.

ويمكن القول بأَن المجاز حدث لغوي يفسِّر لنا تطور اللغة بتطور دلالة ألفاظها على المعاني الجديدة، والمعاني الجديدة في عملية ابتداعها لا يمكن إدراك حقائقها إلاّ بالتعبير عنها، والتصوير اللفظي لها، والمجاز خير وسيلة للتعبير عن ذلك بما يضيفه من قرائن، وما يضفيه من علاقات لغويةٍ جديدة توازن بين المعاني والألفاظ.

وعلى أساس ما تقدّم يكثر الميل إلى المجاز عن الحقيقة؛ لأنَّه يعمل على رصد المعاني والتعبير عنها بما هو أبلغ مع استكمال جماليةِ النص من الناحية الفنية وإبراز الصورة بشكلٍ مؤثرٍ ومقبولٍ.

ومن ثم يعمل على إشغال فكر المتلقي بما يقرأ ويخلف حالة التفاعل بين المتلقي والنصّ حتى يصل إلى مقاصد المتكلم ومعانيه المجازية المقصودة.

أنواع المجاز:

يقسَّم المجاز على أنواع، وأول من أشار إلى تقسيماته هو الشيخ عبد القاهر الجرجاني إذ قسَّم المجاز إلى ضربين وقال:

"واعلم أنَّ المجاز على ضربين مجاز من طريق اللغة ومجاز من طريق المعنى والمعقول، فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا: "اليد مجاز في النعمة" و "الأسد مجاز في الإنسان، وكلّ ما ليس بالسبع المعروف"، كان حكمًا أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة، لأنا أردنا أنَّ المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له ابتداءً في اللغة وأوقعها إلى غير ذلك إمّا تشبيهًا وإمّا لصلة وملابسة بين ما نقلها اليه وما نقلها عنه. ومتى وصفنا بالمجاز الجملة في الكلام كان مجازًا من طريق المعقول دون اللغة، وذلك أَنَّ الأوصاف اللاحقة للجمل من حيث هي جمل لا يصحّ ردُّ ها إلى اللغة، ولا وجه لنسبتها إلى

واضعها، لأنَّ التأليف هو إسناد فعل إلى اسم أو اسم إلى اسم، وذلك شئ يحصل بقصد المتكلم"[١٨].

فالجرجاني حدَّد أقسام المجاز بنوعيه اللغوي والعقلي، فإن كان بالمفرد وعلاقته المشابهة فهو لغوي، وما كان في الجملة فهو عقلي.

في حين نجد السكاكي يحدِّد أقسام المجاز في كتابه بخمسة فصول:

١– مجاز لغوي راجع إلى المعنى خالٍ عن الفائدة.

٢– مجاز لغوي معنوي مفيد خالٍ عن المبالغة في التشبيه.

٣– الاستعارة.

٤– مجاز لغوي راجع إلى حكم الكلمة.

٥– مجاز عقلي[١٩].

وقد استقر البلاغيون على نوعين للمجاز هما "اللغوي والعقلي".

المجاز اللغوي "المرسل":

على الرغم من قلة المواضع المجازية في السورة فإنّها أعطت صورة واضحة وعبّرت تعبيرًا جليًّا عن المعاني وراء الالفاظ. وترى كثرة المجازات في القرآن الكريم وذلك عندما يراد التعظيم أوالتفخيم أوالتشويق لأمر ما يشترط اللفظ والمعنى معا في تصويره وهذا كثير ما نجده في المجاز اللغوي الذي يعني نقل الألفاظ من حقائقها إلى معانٍ أخرى بينها صلة وسقسم على مرسل واستعارة.

وعلى أية حال فإنَّ المجاز اللغوي يعتمد على نقل الألفاظ من معانيها المتعارف عليها في أصل موضعها إلى معنى آخر يناسب غرض المتكلم لوجود علاقة تربط المعنى الأول بالثاني.

ويقسم على أساس العلاقة إلى مرسل واستعارة. فإذا كانت العلاقة بين المعنيين المشابهة فهو استعارة، وإلا فهو مجاز مرسل، إذ يعرفه القزويني على أنّه:

"ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه كاليد إذا استعملت في النعمة"[٢٠].

ويتميز المجاز المرسل عن الاستعارة بأنَّ المعنيين فيه يرتبطان بأكثر من علاقة. وأبرز هذه العلاقات التي اتّضح فيها المجاز المرسل في السورة المباركة هي:

١. **المسببية:**

أن يذكر المسبب ويراد السبب كما في قوله: ﴿إنَّ النَّفس لأمّارَةٌ بِالسوءِ﴾[٢١].

فـ"**أمارة**" مجاز، لأنَّ النفس لا تأمر بالسوء إلا بسبب، وهو الإسراف في طاعة رغباته ونزواتها، حتى تتحوّل بتلك الطاعة لها من مأمور إلى أمر ومن منفذ إلى موجة واجب الطاعة. وإنّما أطلق المسبب ليدلّ من خلال ذلك أنَّ الإنسان إذا أسرف في تلبية رغبات النفس سوف تكون عليه كالأمر المطاع الذي لا يناقش في شيء.

ويذكر المسبب "أمارتها بالسوء" مع قصد السبب يكون التعبير أبلغ وأكثر تأثيرًا فيما يدلّ على أنَّ النفس لا تأمر بالسوء إلا إذا أطيعت وأسرف في تلبية رغباتها الشيطانية. فأعطانا المجاز هنا خلاصة الفكرة في أنَّ النفس لا تكون أمارة بالسوء إلا إذا أطيعت في كلّ شئ. فكأنها إخبارٌ غير مباشر على أنَّ لا تطيع نفسك في كلّ شئ ولابدَّ أنْ تحكم العقل قبل البدء في أيّ خطوة كي لا تعطي للنفس فرصة أن تسيطر عليك.

٢. الكلية:

أنْ يطلق الكلُّ ويراد الجزء كما في قوله: ﴿... وابيَضَّت عَينَاهُ مِنَ الحزنِ﴾[٢٢].

نعلم من علم الطب أنَّ القسم الظاهر من مقلة العين مؤلَّف في الأمام والمركز من طبقةٍ شفافةٍ تسمى "القرنية"، وفي وسطها دائرة مفرغة تسمي "الحدقة"، ومن وراء "الطبقة القرنية والحدقة" طبقة أخرى تحيط بـ "الحدقة" ذات لون أسمر، أو بني، أو رمادي، أو أرزق، أو عسلي، أو أخضر تسمى بـ "القزحية"، وهي التي تعطي العين الصفة المميزة لها، ومن حول "القرنية" يأتي بياض العين الذي يؤلف القسم الأكبر من مقلة العين، ويسمى بـ "الصلبة"؛ وعلى ذلك فيكون المراد من القول في {ابيَضَّت عَينَاهُ} هو القسم المركزى الملوَّن من العين، أي أنّه عبَّر بالفظ الكلّ وأراد الجزءَ"[٢٣].

وإنّما ذكر الكلّ وهو "ابيضاض العين" لما يحمله ذكر الكلّ من دلالة، يفتقر لها ذكر الجزء مباشرة. فـ "ابيضاض العين" في الآية الكريمة يدلّ على شدة الحزن الذي يولد البكاء، ومن ثمَّ يؤدي ذلك إلى القلب سواد العين إلى بياض، فكأنّما انمحت معالم عينه بسبب كثرة البكاء وشدته، وتحوَّلت إلى قطعة بيضاء لا ترى فيها شيئًا من معالم العين.

ولو عبَّرت الآية الكلام على حقيقته بأن يقال "ذهب الله ببصره"، لما دلّت هذه شدة الآلآم والعذاب الذي عاشه نبي الله يعقوب على ابنه.

إذن فالآية قصدت الجزء المركزى للعين الذي فيه يمكن البصر، وإنّما أطلق البياض من باب المجاز لما في ذلك من دلالة على ما كابده يعقوب من أحزان والآم على فقد ابنَهُ الحبيب، وإنّه ما فقد بصره إلاّ من كثرة الحزن والبكاء عليه.

فكأنّما "ابيضاض العين" مرتبط بالبكاء الشديد المصحوب بالعبرة والآلآم، وهذا ما كان عليه

حال النبي يعقوب. والذي يبدو لي أنَّ بياض عين يعقوب حقيقة لا مجاز لأنه من كثرة البكاء نزل في عينه الماء الأبيض فصارت كلُّها بياضًا أيْ "صارت فى عينيه غشاوة بيَّضتْهما"(٢٤).

وقيل إنَّ الابيضاض "كناية عن العمى فيكون قد ذهب بصره بالكلية واستظهره أبو حيان بقوله {فارتدّ بصيرًا}(٢٥) وهويقابل بالأعمى"(٢٦).

وعليه فـ "الابيضاض" يدلّ على شدّة الحزن الذي يولد البكاء، ومن لم يؤدي ذلك القلب سواد العين إلى البياض، فكأنّما انمحت معالم عينيه بسبب البكاء الشديد وتحوَّلت كلُّها إلى قطعةٍ بيضاء.

٣- الجزئية

إذ يُطلق الجزء ويُراد به الكلّ كما في قوله: ﴿... يَخلُ لَكُم وَجه أَبيِكُم﴾(٢٧). فـ "وجه أبيكم" يعنى ذاته فقد أطلق القرآن الكريم في الآية الكريمة الجزء وأراد الكلّ وعبر عن الذات بالوجه لما في لفظة الوجه من دلالات توحي بتوجهه لهم وانشغاله بهم.

٤- اعتبار ما سيكون:

أي تسمية الشيء بما سيؤول إليه في المستقبل كما في قوله: ﴿... إنّي أرانِي أعصِرُ خَمرًا.....﴾(٢٨).

فالمجاز في "خمرًا" فهو أطلق الخمر وأراد العنب لأنَّ الخمر لا يُعصر، وإنّما الذي يُعصر هو العنب الذي سيتحول إلى الخمر في المستقبل. وحسبي بأنّه جاء بلفظة "الخمر" تناسبًا مع عمل الساقي صاحب الحلم.

٥- **المحليّة**

أيْ أنْ تطلق المحل وتريد صاحب الحال كما في قوله: ﴿واسأل القرية...﴾(٢٩)

فالمجاز واقع في السؤال الموجه للقرية، والحقيقة أنَّ السؤال موجَّه إلى أهل القرية وليس للقرية، وعدل عن الحقيقة إلى المجاز لما في ذلك المجاز من تأكيد، فهم أرادوا أنْ يؤكدوا لأبيهم أنَّ ما يقولون عن أخيهم "بنيامين" حقيقة ومن صدقهم ومصداقيتهم في الخبر الذي يحملونه لأبيهم ينطلق الجماد ويشهد لهم بالصدق، فهنا المجاز حمل معنى التأكيد والإثبات لكلامهم إذ وجّه فيه السؤال إلى ما لا ينطلق، فكأنّما إذا سألت ما لا ينطق سيجيبك دلالة على صدق الخبر الذي حملوه لأبيهم.

وعليه يكون ما محذوف المجاز الجملة من باب المجاز، وذلك لغرض يقصده المتكلم في نفسه، وهو أنْ يصدقهم أبوهم ويقتنع بكلامهم، وهذا ما نجده عند الجرجاني إذ قال:

"إنَّ الكلام إذا امتنع حمله على ظاهره حتى يدعو إلى تقدير حذفٍ أو إسقاطٍ مذكورٍ على وجهين: الأول أنْ يكون امتناع تركه على ظاهره لأمرٍ يرجع إلى غرض المتكلم، كما في ﴿واسأل القرية﴾، الثاني: أنْ يكون امتناع ترك الكلام على ظاهره ولزوم الحكم بحذف أو زيادةٍ من أجل الكلام لا من حيث غرض المتكلم مثل ﴿فصبر جميل﴾[٣٠].

والظاهر أنَّ المجاز هنا في الآية الكريمة ﴿واسأل القرية﴾ قد غيّر الحكم الإعرابي للكلمة "القرية" من مضاف إليه مجرور إلى مضاف بعد حذف المضاف "الأهل" المنصوبة فأعربت "القرية" إعراب "أهلَ"، ومثلما غير الحكم الاعرابي للكلمة، اجتاز حدود الحقيقة في أنَّ السؤال وقع للقرية، وهذا ليس بالحقيقة فهي لا تنطق فكيف يوجه إليها السؤال؟.

وبهذه الآية اجتيزت حدود الحقيقة بتوجيه السؤال إلى مالا ينطق خدمة لغرض المتكلم ومقاصده فكأنّما المتكلم دفع الخيال إلى تصور استنطاق الجماد تأكيدًا وتصديقًا للخبر الذي نقلوه لأبيهم فيشهد لهم بذلك حتى الجماد الذي لا يتكلم.

أيْ يمكنه أنْ يسأله فيُجيبه تأكيدًا لصدق القول. وعليه فالمجاز هوتعبير مبني على السعة والتجوز وليس مبنيًّا على حقيقة الكلام.

فهو يعطي للغة القدرة على أن تتسع وتتجاوز حدود الحقيقة. والغاية من المجاز في هذه الآية هو التأكيد على صدق ما نقلوه لأبيهم.

المجاز العقلي:

إن كان المجاز المرسل يحدث فى الكلمه المفردة، فإن العقلي تبقى فيه الألفاظ على حالها، ويكون في الإسناد فهو: "إسناد، الفعل أومعناه، إلى ملابس له، غير ما هو له، بتأوّل وللفعل ملابسات شتى، يلابس الفاعل، والمفعول به، والمصدر، والزمان، المكان، والسبب"[٣١].

أي أنك فقط المجاز العقلي تسند الفعل إلى غير فاعله، والحاكم عليه هو العقل فعندما تقول "أنبت الربيعُ البقل" تجد الجملة في تركيبها صحيحة لكن في معناها شيء لا يُعقل، فالربيع ليس هو الذي ينبت البقل، بل إن البقل ينبت في وقته فأسند الفعل للزمن مجازًا ومبالغةً في الأمر، وعليه تكون علاقته الزمانية.

وجاء المجاز العقلي في السورة المباركة فى موضع واحد وهو في قوله: ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ﴾[٣٢].

فالإسناد هنا مجازي وعلاقته الزمانية، لأنَّ الفعل أسنِد إلى السنين. والحقيقه أنَّ السنين ليست هى الآكلة بل الناس هم الآكلون فيها. وعندما يعطي السنين صفة من صفات الإنسان وهى الأكل

ففي هذه الحالة يكون قد شخّص السنين وعدّها بمثابة إنسان يأكل، وهذا مجاز لأنّ العقل لا يمكن أنْ يصدق بأنَّ السنين هي الآكلة. فعندما أسنِد الفعل لها مجازً، فذلك لقصد التأثير فى السامع على قساوة تلك السنين التي ستستمر عليهم، وكأ نّها تتحول إلى إنسان يأكل ما حوله.

فانظر إلى براعة التصوير القرآني فى مجازاته عندما شخص السنين وعدّها إنسانًا لما ذلک التعبير المجازي من دلالة على قساوة تلك السنين وحدتها في القحط لتتحول هي إلى الآكل بدلًا من المأكول فيها. وواضح مما تقدَّم أن علاقة المجاز العلقي هنا الزمانية.

بلاغة المجاز:

وهكذا يجتمع المجاز المرسل والعقلي في إيصال بأكثر تأثير وأبلغ تعبير حتّى تكاد أنْ تظهر للوهلة الأولى، بأنّها حقيقة. ففي المجاز ترسّخ الفكرة في ذهن المتلقي وتصل إلى القلب وتحرّك المشاعر والأحاسيس لديه؛ لأنَّ المجاز هوالمعنى الباطن للكلمة أوللعبارة، إذ يجعل الكلمة أوالجملة تدلّ على معنى آخر غير معناها الحقيقي، وكأنّه يعبر عن المعنى بطريقةٍ غير مباشرة. فعندما يقول: ﴿اسأل القرية﴾ لم يقصد بذلك السؤال نفسه بل المقصود الى مَن وَجه السؤال؟ وكان موجهًا للقرية، ولكن هل القرية تتكلم؟ بالتأكيد لا تتكلم.

ومن ثم فإنَّ استنطاق الجماد يحمل في طيَّاته مقاصد، وأهم مقصد هو لتأكيد الكلام المساق فيه المجاز. وعندما يقول: ﴿يَأكُلُهُنَّ سَبعٌ عِجافٌ﴾، فالسنون لا تأكل ولا تشرب، وإنما هي مأكول فيها، وعندما يُسند للسنين الفعل فتكون الجملة قد حملت معنًى، وهوالشدة والقساوة التي ستكون في تلك السنين حتى كأنّها هي التي تأكل من قساوتها وشدة الجدب والقحط فيها.

نتائج البحث:

بعد هذه الجولة السريعة مع المجاز بنوعيه في رحاب سورة يوسف نحن توصَّلنا إلى النتائج التالية فمن أهمِّها:

١- إن المجاز يدلُّ على معانٍ مخفية وراء الكلمات والتراكيب الإسنادية.

٢- لا يصل القارئ أو المتلقي إلى معانى المجاز المختلفة إلا بعد إشغال الفكر وإطالة النظر بتأمل والاستعانة بالعاطفة والإحساس الأدبي.

٣- إن المجاز عقل وعاطفة معًا، يشتركان في تحليل النصوص.

٤- إن للمجاز أثرًا بارزًا في اتساع اللغة وشموليتها.

٥- وللمجاز أثر في تصوير العبارة بحسب ما يقتضيه المعنى والغرض لدى المتكلم.

٦- على الرغم من قلة المجاز بنوعيه فإن له أثرًا في بيان الجانب البلاغي في سورة يوسف.

المراجع والحواشي

[١] الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ج١،ص٣٣، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.

[٢]- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى ابن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، تحقيق سيِّد بن علي المرصفي، ج٢، ص٧، المقتطف بمصر، ١٩١٤م.

[٣]- "المجاز عند ابن سينا وابن رشد" ص ٥٨، مقال لمحمود درابسة، مجلة الدراسات الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، العدد الثالث، ٢٠٠١م.

[٤]- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، ج١، ص٣٦ ، مصر، ١٨٦٥م.

[٥]- فقه اللغة وسرُّ العربية، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، ص٢٩، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٨٥م .

[٦]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ج٢، ص٣٦، الطبعة الثالثة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

[٧]- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج١، ص٢٦٥، الطبعة الثانية، المكتبة التجارية الكبرى.

[٨]- الآراء الدينية والفلسفية، فيلون الإسكندري، ترجمة محمد يوسف موسى وعبد الحليم النجار، ص ٦٠، مصطفى الحلبي وأولاده، مصر .

[٩]- مبادئ النقد الأدبي، الأستاذ رتشاردز، ترجمة مصطفى بدوي، ص٣٠٩-٣١٠، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ١٩٦١م.

(١٠) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى ابن حمزة العلوي، ج١، ص٤٥.

(١١) مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمدبن علي السكاكي، تحقيق نعيم زرزور، ص٣٥٨، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

(١٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى ابن حمزة العلوي، ج١، ص٤٥.

(١٣) المصدر نفسه، ص٣٤٤-٣٤٥.

(١٤) المجاز في البلاغة العربية، د.مهدي صالح السامرائي، ص١٧٦-١٧٧، ط١، ١٩٧٤م، دار الدعوة، حماة، سوريا

(١٥) سورة الزلزال، الآية: ٢.

(١٦) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، تحقيق د. يوسف الصميلي، هامش ص٢٩١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

(١٧) المصدر نفسه، هامش ص٢٥٩.

(١٨) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، ص٤١٣، دار المدني، جدة، ١٩٩١م.

(١٩) مفتاح العلوم للسكاكي، ص٣٥٦.

(٢٠) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني، ج١، ص٢٧٠، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

(**٢١**) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

(**٢٢**) سورة يوسف، الآية: ٨٤.

(**٢٣**) مؤتمر تفسير سورة يوسف، عبد الله العلمي الغزي الدمشقي، ج١، ص١١٥٣-١١٥٤، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٩٦١م.

(**٢٤**) روح المعاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، ج١٣، ص٤٠، دارالطباعة الميزية، دار احياء.

(**٢٥**) سورة يوسف، الآية : ٨٤.

(**٢٦**) روح المعاني للآلوسي، ج١٣، ص١٤.

(**٢٧**) سورة يوسف، الآية: ٩.

(**٢٨**) سورة يوسف، الآية: ٣٦.

(**٢٩**) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(**٣٠**) سورة يوسف، الآية:٢٥، أسرار البلاغة للجرجاني: ص٣٨٧-٣٨٨.

(٣١) الإيضاح للقزويني، ج١، ص٢٢.

(**٣٢**) سورة يوسف، الآية: ٤٣.